ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:

Dr .Essam Jabar Mansoor
Ministry of Education
General Directorate of Education/ Wasit
Email:
essam19761976e@gmail.com

Keywords:
Exclusion - Argument - Argumentation - Poetry of the Early Islamic Era

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	27 Aug 2023
Accepted	18 Sep 2023
Available online	1 Oct 2023

The Argument of Exclusion in the Poetry of the Early Islamic Era

A B S T R U C T

This research deals with the concept of exclusion in the poetry of the early Islamic era from a cultural and argumentative perspective, with the aim of achieving a type of criticism that aims to show the positive and negative aspects of our poetic heritage. The poets stood in a negative position towards the concept of exclusion, and did not take a neutral position, but encouraged and pushed towards exclusion and used various words that indicate the alienation of the other and his non-participation or participation in building human thought at that stage. It seems that the use of poetry was to achieve the goal of exclusion in order to give the right and truth to the position of the Muslim poets as an argument against others who did not adhere to the principles of the new Islamic religion at that time, as well as to add a sacred character to their position against the other and his exclusion.

© 202 3LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/

حجة الإقصاء في شعر عصر صدر الاسلام

م.د. عصام جبار منصور المالكي /وزارة التربية /المديرية العامة للتربية في محافظة واسط

الخلاصة:

يقوم هذا البحث على مبدأ ثقافي حجاجي لدراسة مفهوم الاقصاء في شعر عصر صدر الاسلام؛ لتحقيق نوعا من النقد، هدفه اظهار الجوانب الإيجابية والسلبية من تراثنا الشعري . إذ وقف الشعراء أزاء مفهوم الاقصاء موقفا سلبيا ولم يتخذوا موقف الحياد؛ وذلك بالتشجيع والدفع نحو الاقصاء واستعمال مختلف الألفاظ التي تدل على إبعاد الآخر، وعدم مساهمته أو مشاركته في بناء الفكر الانساني في تلك المرحلة ، ويبدو توظيف الشعر كان لتحقيق غرض الاقصاء من اجل اضفاء الحق والصدق على موقف الشعراء المسلمين كحجة ضد الاخرين الذين لم يلتزموا بمبادئ الدين الاسلامي الجديد آنذاك، فضلا عن اضفاء طابع القداسة على موقفهم ضد الآخر واقصائه.

الكلمات المفتاحية (الاقصاء- الحجة- الحجاج- شعر صدر الاسلام).

المقدمة

كثرة الدراسات التي حظي بها الشعر العربي في صدر الاسلام، إلا إنه يبقى معينا ثراً لمن يريدون الولوج إليه، لكونه يفرض وجوده بجدارة كبيرة، بوصفه أدبا معطاءً حافلا بالعديد من الظواهر المختلفة، فكانت ظاهرة حجة الاقصاء من الظواهر المهمة التي حفل بها شعر صدر الاسلام ، فاستحقت البحث والدراسة. فالبحث عن الحجاج بصورة عامة وآلياته وحججه لم يدرس في شعر صدر الاسلام ، فاختار الباحث حجة الاقصاء لبيان أهميتها في إقناع الآخر واحداث الغلبة بين طرفين متخاصمين (المسلمون والمشركون)، فالدفاع عن الاسلام وعكسه يتطلب إقصاء الآخر من الناحية المعنوية والمادية ، إذ كشف شعر صدر الاسلام عن أهم القضايا التي شغلت الناس في تلك المرحلة من وقائع وأحداث متعلقة بنزول القرآن والدعوة الإسلامية ، فشكل الدفاع عن الاسلام عنصرا مهما في البناء الفني للشعر، فكان التوجيه الحجاجي من الأعمدة المهمة في بناء الشعر، فاعتمد الباحث في الكشف عن مضمون بحثه منهجا تحليليا وصفيا قائما على الحجة الاستدلالية في استنطاق النصوص الشعرية لمدونة البحث. إذ كان شعر صدر الاسلام واضحا وبسيطا لا يحتمل العمق والتأويل، فجاءت الشعر عبارة عن مناوشات ومنافرات وردود أفعال يقوم بها الشاعر اتجاه خصمه الآخر من خلال بيان الحجة المدعومة بالأدلة والبراهين على وفق الخطاب الادبي لأقصاء الآخر. فاقتضت طبيعة البحث أن يقسم على تمهيد ومبحثين تعقبها خاتمة بأبرز النتائج وثبت المصادر والمراجع، فكان التمهيد يحمل عنوانا(مفهوم الاقصاء وابعاده الحجاجية في شعر صدر الاسلام) ، أما المبحث الأول فقد ضم أسباب الاقصاء التي انقسمت على دوافع دينية وأخرى اجتماعية، أما المبحث الثاني فقد انبنى على أساليب الأقصاء التي تم تقسيمها على ثلاثة أقسام تناولت أسلوب القتل الذي يعد من أقسى أساليب الاقصاء، وأسلوب الطرد والنفي والتشريد الذي لا يقل شدة عن القتل، وأسلوب الإهانة والاستهزاء الذي ارتبط بالهجاء مباشرة محاولا تشويه سمعة الآخر. ثم الخاتمة التي فيها أهم النتائج التي توصل الباحث إليها.

التمهيد

مفهوم الاقصاء وابعاده الحجاجية في شعر صدر الاسلام

تهتم النظريات اللغوية الحديثة بدراسة منهج الحجاج في مرحلة من مراحل التداولية، إذ يعمل فيها المتكلم إلى اقامة الحجة وبنائها على وفق وسائل لغوية، فمهما تعددت أنماط الخطابات واختلفت مواقفها التي يتواصل بها مع المتلقي ، قد يكون مخالفا له في الراي أو شاكا في مصداقية المعرفة المنقولة إليه، أو جاهلا لحيثيات الموضوع الذي يبنى على اساسه الخطاب؛ إلا إن المتكلم يكشف في نصوصه الأدبية عن افكار الذات ورؤاها ويجلي مشاعرها وعذاباتها، مستعينا بملكة ابداعه التي يسخرها للتأثير واقناع الآخر عن طريق الدلالات الحجاجية التي تعد من فنون الإقناع وطرائق الاستدلال (الدريدي ، 2011 : 4).

إذ يقوم هذا البحث على مبدأ ثقافي حجاجي لدراسة مفهوم الاقصاء في شعر عصر صدر الاسلام؛ لتحقيق نوعا من النقد هدفه اظهار الجوانب الإيجابية والسلبية من تراثنا الشعري . إذ وقف الشعراء أزاء مفهوم الاقصاء موقفا سلبيا ولم يتخذوا موقف الحياد؛ وذلك بالتشجيع والدفع نحو الاقصاء واستعمال مختلف الألفاظ التي تدل على إبعاد الآخر، وعدم مساهمته أو مشاركته في بناء الفكر الانساني في تلك المرحلة ، ويبدو توظيف الشعر كان لتحقيق غرض الاقصاء من اجل اضفاء الحق والصدق على موقف الشعراء المسلمين كحجة ضد الاخرين الذين لم يلتزموا بمبادئ الدين الاسلامي الجديد آنذاك، فضلا عن اضفاء طابع القداسة على موقفهم ضد الآخر واقصائه.

مفهوم الاقصاء لغة:-

إن تفسير دلالات لفظ الاقصاء كثيرة، فقد ورد في الصحاح مادة (ق ص ي): "يقال قصي فلان عن جوارنا، يقصى قصا، واقصيته أنا فهو قصصي" (الجوهري:1987، مادة "ق ص ي")، وقصيه عن جوارنا قصا، إذا بعدَ (ابن منظور:1994، مادة "قصي") . فالإقصاء: هو الابعاد والنفي والطرد، ويقترب معنى الاقصاء من لفظ الاجتثاث ، فـ (الجثُّ) القطع (مجمع اللغة العربية:1994، مادة " جث") . وقيل قطع الشيء من أصله وقيل: انتزاع الشجر من أصوله والاجتثاث اوحى منه يقال جثثته واجتثثته فانجث و"اجتث الشيء: قطعه"(مجمع اللغة العربية، 1994: مادة "جثّ").

أما الدلالة الاصطلاحية لمفهوم الاقصاء : لم تبتعد كثيرا عن المعنى اللغوي فهو النفي، والخلع، والطرد، والقضاء على الآخر منه قولا وفعلا، محاولين إثبات(الأنا) بشتى الوسائل والأساليب سواء أكانت شرعية أم غيرها ؛ارضاءً للذات الفردية أو المجتمعية(محراث، 2009 :7)، ولتحقيق اغراض أو دوافع كامنة تحرك صاحبها إلى أن يسلك هذا السلوك (الشمري ،2011م : 13). إذ إن للإقصاء أوجها وصنوفا شتى كثر استعماله؛ لاسيما في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والنفسية والعرقية وغيرها، مما دفع الناس للنيل من الاخر قولا وفعلا، بوصفها ممارسة مركوزة في عقلية اجدادنا العرب قبل الاسلام.(محراث،2009م : 8).

(الحجة) لغة واصطلاحا:

الحجة كلمة مشتقة من الفعل(حج)،" وتعني القصد، فسميت الحجة؛ لأنها تحج، أي تقصد، فالقصد لها وإليها، ويدل فعل الحج أيضا على معنى (غلب)، حج فلان فلانا، أي غلبه بالحجة ، وكذلك تعني :(الدليل والبرهان) "(ابن منظور: 1994 ، مادة "حجج")، وجمعها حجج، وحجاج، "فالبرهان مصدر برهن يبرهن وجمعه براهين ،الحجة البينة الفاصلة، أما الدليل، ما استدل به استدلالا، أي انتقال الذهن من أمر مجهول إلى أمر معلوم، واستدل على الشيء، تعرف وتوصل إلى حقيقته، واستدل بالشيء على الشيء ،اتخذه دليلا عليه،

أي ارشده وهداه إليه" (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1989 م:291-292)، فالدليل مصطلح يراه المناطقة مرادفا لمصطلح الحجة والبرهان على الاغلب على اساس إنه السبيل العقلي الإقناعي الشامل الذي لا يستمد قوته إلا من اعمال الفكر(عبد الرحمن، 1998 م: 132)، وعليه فالحجة: هي الدليل الذي يجب الرجوع إليها للعمل بها من أجل تحصيل الغلبة على الخصم (عبد الرحمن،1998م: 137)، وبناء على المعنى اللغوي والمفهوم الاصطلاحي يتضح لنا أن الحجة لها أقسام متعددة - كالاستدلال المنطقي والاستدلال بالشواهد- لكونها يُستدل بها على صحة رأي، فإن المتكلم قد يطلب هذه الحجة للاستدلال على دليل حجيته، علما إن الاستدلال المنطقي مقسم إلى:

1- الاستدلال المنطقي المباشر: وهو استنتاج قضية من قضية أخرى، سواء أكانت حملية ، أم شرطية من دون توسط قضية ثالثة (زيدان: د.ت: 20) ، ويتمثل ذلك في قوانين العكس والنقل والتقابل بين القضايا المتحققة في قواعد التبادل والتناقض والتداخل والدخول تحت التراث (محمدعلي ،1985 : 55).

2- الاستدلال المنطقي غير المباشر: وهو استنتاج قضية، نتيجة من قضيتين أو أكثر. المقدمات التي تسمى الاستنتاج القياسي، أما حملي وإما شرطي وإما مضمر، أما إذا أكثر من قضيتين، فتسمى بالاستدلال الاستقرائي وهذا يكون أما تاما أو ناقصا (زيدان ، د.ت: 20 - 21).

أما القسم الآخر فهو الاستدلال بالشواهد الذي يتطلب الدليل من جهة الشاهد لإثبات وتأكيد حجته، أو لإفساد نتائج ادلة خصمه من خلال الشواهد (عبد الرحمن، 1998 : 135)، ودليل الشواهد كثيرة: منها النصوص المقدسة من القرآن الكريم والحديث النبوي والاقوال المأثورة، من امثال وحكم وحقائق تاريخيا واحداث واقعية ماضية وحاضرة التي عرفها العلماء المحدثون بالحجج الخطابية (الشهري 2004 :537 - 540).

الفرق بين (الحجاج) و(الحجة) :

على الرغم من إن الحجاج جمع للحجة (ابن منظور، 1994م : مادة "حجج")؛ إلا إن الحجاج في الدراسات اللغوية نظرية تؤطرها قوانين وقواعد تطلع بتحديد وظائف التقنيات التي تحمل المتلقي على الاقتناع بما يعرض عليه، أو زيادة في حجة الاقتناع (الدريدي ،2011 : 21)، ولا يلزم المتلقي بقبول العرض بقدر اقناعه عبر استثمار النواحي النفسية والجوانب الوجدانية، من أجل حتمية التأثير في من خلال بناء الاساليب اللغوية ذات الابعاد البلاغية(حباشة ،2008م: 21) لقبول النتائج وقد يكون المنطق اللاصوري أحيانا من جهة اخـــرى ، إذ يبني المتكلم الحجاج عالما خاصا يختلف عن طرائق الاستدلال المنطقي بعيدا عن التأثير القائم على الاسس العقلية والحقائق العلمية؛ لكون الحجاج يتخلى في كثير من المواقف عن الدقة

والمصداقية، ويلجا إلى الاقناع بعيدا عن الموضوعية، إذ إن المحاجج قد يقدم معلومات ليس من شأنها أن تكون حاسمة فيما تثبت أو تنفي، وإنما يكون الأمر مرجح ،وممكن، ومحتمل الامر الذي تجعل من النتائج المتحصل عليها في هذا السلم الحجاجي لن تكون يقينية (عبد المجيد :2000م : 106)، فإن غاية الحجاج ليس البرهنة القاطعة، وليس الصدق الدقيق وانما" استمالة المتلقي وحمله على الاذعان وإن كان عن طريق المغالطة والتمويه "(الدريدي ،2011م : 24) ، وبذلك خالف الحجاج مفهوم الحجة التي من خصائصها الاستقامة في القسط بعيدا عن السفسطة والالتواء الفكري بوصفها الأقرب إلى المنطق والمتفق في بعديها ، الامر الذي تجعل الحجة تأخذ صفه الموضوعية التي تفرض الالزام، والوجوب على المتلقي يقينا لا احتمالا أو تمويها بوصف الحجة دليلا يلزم من العلم به العلم بشيء آخر (الجرجاني، 2005م: 76) ، الأمر الذي جعل من الحجاج أشمل من الحجة بوصفه يراعي توظيف الحجة وبنائها بكيفية فنية فضلا عن كونه جملة تقنيات تراعي الاختيارات اللامنطقية والتداولية على مستوى السياق اللغوي بأبعاده المعجمية والتركيبية والدلالية من جهة، وعلى مستوى السياق الخارجي لأبعاده الموقفية (ظرف التواصل) والاجتماعية(العادات والتقاليد) والفكرية(المعتقدات) من جهة اخرى(حلاسة ،2016م: 290) الأمر الذي جعل علاقه الاحتواء هي ما تجمع بين الحجاج والحجة.

خصائص شعر صدر الاسلام :

عند بزوغ فجر الإسلام ، انقسم العرب إلى فريقين، فريق تفتحت قلوبهم إليه واهتدوا به، وفريق آخر صدوا عنه و أصروا على الكفر به؛ الأمر الذي جعل من كل فريق أن يجرد كل ما يملك لمحاربة الفريق الآخر، " فمن الطبيعي أن يشارك الشعر هذا الصراع في جميع مراحله، فوقف فريق من الشعراء إلى الرسول (ص)، وفريق آخر إلى جانب قريش"(العاني ،23:1996) التي كانت لها الأثر الكبير في عرقلة طريق الدعوة الإسلامية في بداية مشوارها ؛ الأمر الذي دفع بالنبي محمد (ص) أن يتخذ من الشعر سلاحا للرد على المشركين الذين سلوا ألسنتهم في هجائه وتقويض دعوته، مخاطبا (ص) المسلمين بقوله:" ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم" (الأصفهاني ، 1969: 137/4). مما دفع بالشعراء المسلمين بالذود عن الاسلام وتعاليمه وعن الرسول ومفاهيمه، من خلال الرد على المشركين، مناقشين أفكارهم ومسفهين آراءهم، مظهرين فساد النظام القبلي السائد في المجتمع الجاهلي (العاني، 1996م: 91). إذ استعمل شعراء صدر الاسلام أساليب مختلفة لإقصاء الآخر تتمثل بضروب وموضوعات متنوعة وكثيرة، تناولوا فيها وصف الحرب والمعارك وسرد تفاصيلها، والفخر بشجاعة المحاربين والفرسان، والاشادة ببطولاتهم، كحجة لإقصاء الآخر وبث الخوف والرهبة في قلبه من خلال تصوير ذلك الخوف والذعر الذي يضعف ويربك الآخر. مما يتضح إذن إن للشعر "القدرة العجيبة على تغيير الواقع وتوجيه المتلقي نحو غاية

رسمها له الشاعر بالصورة واللغة والايقاع" (الدريدي ، 2011م: 74) . فكان هَم الشاعر هو إفساد مزاعم الآخر.

المبحث الأول

أسباب الاقصاء في شعر صدر الاسلام :

1- الإقصاء بسبب الدافع الديني.
2- الإقصاء بسبب الدافع الاجتماعي.

1- الإقصاء بسبب الدافع الديني:

نجد منذ فجر الدعوة الإسلامية تلاحما بين توجهات النبي (ص) وموقف الشعراء المسلمين ، فحين اشتد أذى رجال قريش للمسلمين وسخروا كل قواهم المادية والمعنوية لحرب المسلمين واقصائهم كان الشعر وسيلة لدى المشركين للرد على المسلمين وتحريض القبائل عليهم؛ لأنه الوسيلة الإعلامية الوحيدة التي تشيع آراء رجال قريش (الصفار، 2005م: 43)، لذلك انبرى الشعراء المسلمون يلبون دعوه الرسول صلى الله عليه واله وسلم ويذبون عن الاسلام ورسوله، وقد كان لبدء النقائض بين المشركين والمسلمين اثرا كبيرا في تنشيط الاشعار، إذ توجه شعراء قريش ومنهم عبد الله بن الزبعرى وأبو سفيان بن الحارث وضرار بن الخطاب لهجاء الرسول صلى الله عليه واله وسلم ، فضلا عن هجاء المسلمين بصورة عامة بأبيات وقصائد؛ الامر الذي جعل شعراء المسلمين يتصدون لهم ، فظهرت لنا قصائد انصرف فيها الشعراء المسلمون إلى الرد على المشركين ، أو التعبير عن مواقف مستجده،" لأن هذه الطبيعة هي التي فرضت على الشاعر أن يباشر الحدث ويعيش الزمن ويتحسس الواقع ، ولهذا كانت الاستجابة سريعة، والانعطاف حادا وبدأ البيت الشعري يستوعب الغرض ويؤدي الفكر ويحمل الخفقة الانسانية المتألقة التي أراد الشاعر أن ينقلها إلى الآخرين؛ ليدركوا مهمتهم التاريخية" (القيسي:1979م: 63)،وهذا ما فرضت الظروف الجديدة على شعراء الدعوة أن يأخذوا مواقعهم وأن ينزلوا إلى الساحة مقاتلين ، ومدافعين ، وموجهين ، ومرشدين، يستمدون العزم من سلامة الدعوة ويسلكون الحجج من دستورها المبين ، مبطلين حجج المشركين ومفندين ادلتهم، فمثلا قيل في معركة بدر شعر كثير معززا للنصر رادا على الاعداء مؤكدا إن النصر الذي احرزه المسلمون إنما هو نصر للحق والدين؛ لأن إرادة الله أرادت ان تقصي المشركين وتخذلهم وتنزلهم في ادنى مستوى ، إذ قال حسان بن ثابت (حسان بن ثابت، 1994 :13) في معركة بدر:

"وَخَبِّـــــر بِالّـــــذي لا عَيـــــبَ فيـــــهِ بِصِـــــدقٍ غَيـــــرِ إخبـــــارِ الكَـــــذوبِ

بِمـــا صَـــنَعَ المَليـــكُ غَـــداةَ بَـــدرٍ لَنـــا فـــي المُشـــرِكينَ مِـــنَ النَصـــيبِ

غَـــداةَ كَـــأَنَّ جَمعَهُـــمُ حِـــراءٌ بَـــدَت أَركانُـــهُ جُـــنحَ الغُـــروبِ

فَلاقَينـــــاهُمُ مِنّـــــا بِجَمـــــعٍ كَأُســـدِ الغـــابِ مِـــن مُـــردٍ وَشـــيبِ

أَمـــــامَ مُحَمَّـــــدٍ قَـــــد آزَروهُ عَلـــى الأَعـــداءِ فـــي رَهـــجِ الحُـــروبِ

بِأَيـــــديهِم صَـــــوارِمُ مُرهَفـــــاتٌ وَكُـــلُّ مُجَـــرَّبٍ خـــاظي الكُعـــوبِ

بَنـــو الأَوسِ الغَطـــارِفِ آزَرَتهـــا بَنـــو النَجّـــارِ فـــي الـــدينِ الصَـــليبِ

فَغادَرنـــا أَبـــا جَهـــلٍ صَـــريعاً وَعُتبَـــةَ قَـــد تَرَكنـــا بِـــالجَبوبِ

وَشَـــيبَةَ قَـــد تَرَكنـــا فـــي رِجـــالٍ ذَوي حَسَـــبٍ إِذا اِنتَسَـــبوا حَســـيبِ

يُنـــــاديهِم رَســـــولُ اللَهِ لَمّـــــا قَـــذَفناهُم كَباكِـــبَ فـــي القَليـــبِ"

نلاحظ إن هذا النص الشعري يشير إلى الواقعة التاريخية (معركة بدر) وانتصار المسلمين على المشركين، وقتل سادات قريش ودعاة الكفر أمثال أبي جهل وعتبة وشيبة والوليد، وهم من كبار سادات قريش ، الأمر الذي انعكس بصورة ايجابية على رفع معنويات المسلمين ودخول الخوف في قلوب المشركين، ولعل هذه الواقعة تمثل أول إقصاء للمشركين الذين تصدوا للدعوة الاسلامية. فجاء القرآن مؤيدا لهذا النصر بقوله تعالى: "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ" (الحج39) ، إذ نلحظ إن الشاعر قد استثمر مختلف الحجج لبيان الدافع الديني وراء هذا الانتصار وهو بأن الله والرسول والملائكة مسددين وداعمين للمسلمين.

ومن النماذج المهمة التي وردت في شعر صدر الاسلام، الرسالة التي بعث بها كعب بن زهير إلى أخيه بجير بن زهير قبل إسلامه، قال فيها: (كعب بن زهير،1997م:3-4).

"أَلَا أَبْلِغَـــا عَنِّـــي بُجَيْـــرًا رِسَـــالَة فَهَـلْ لَـكَ فِيمَـا قُلْـتُ بِـالْخَيْفِ هَـلْ لَكَـا

شَـــرِبْتَ مَـــعَ الْمَـــأْمُونِ كَأْسًـــا رَوِيَّـــةً فَأَنْهَلَـــكَ الْمَـــأْمُونُ مِنْهَـــا وَعَلَّكَـــا

وَخَالَفْـــتَ أَسْـــبَابَ الْهُـــدَى وَاتَّبَعْتَـــهُ علـــى أي شـــيءٍ ويـــب غيـــرك دلّكـــا

علـــى خُلُـــقٍ لـــم تُلـــف أمـــا ولا أبـــا عليـــه ولـــم تُـــدرك عليـــه أخـــا لكـــا"

نجد في هذه الابيات صورة من صور العصبية الجاهلية الواضحة المعالم ، وهي إساءة للنبي (ص) بصورة واضحة ، فضلا عن موقف الشاعر من الاسلام بصورة عامة ،والكيل باللوم على أخيه الذي غرر به من قبل النبي (ص) وبحسب مفهوم الشاعر ؛ إلا إن بجيرا رد كعبا بقوله:(كعب بن زهير، 1997م: 4)

"مَـــنْ مُبْلِـــغٌ كَعْبًـــا فَهَـــلْ لَـــكَ فِـــي الَّتِـــي تَلُـــومُ عَلَيْهَـــا بَـــاطِلًا وَهْـــيَ أَحْـــزَمُ

إِلَـــى اللَّهِ (لَا الْعُـــزَّى وَلَا الـــلَّاتِ) وَحْـــدَهُ فَتَنْجُـــو إِذَا كَـــانَ النَّجَـــاءُ وَتَسْـــلَمُ

لَـــدَى يَـــوْمٍ لَا يَنْجُـــو وَلَـــيْسَ بِمُفْلِـــتٍ مِـــنْ النَّـــاسِ إِلَّا طَـــاهِرُ الْقَلْـــبِ مُسْـــلِمُ

فَـــدِينُ زُهَيْـــرٍ وَهُـــوَ لَا شَـــيْءَ دِينُـــهُ وَدِيـــنُ أَبِـــي سُـــلْمَى عَلَـــى مُحَـــرَّمِ"

وفي هذه الأبيات نجد الشاعر قد أضفى صورة واضحة في الدفاع عن الاسلام ، من خلال استعمال مختلف الحجج لتبرير اقصاء دين أباءه، سواء أكانت حجج مادية، أم حجج معنوية، فأما المادية فإن (الآت

والعزى) لا تقدم نفعا، ولا ضرا ، ولا نجاة ولا تسليم، أما المعنوية فقد أشار الشاعر إلى إن الله تعالى هو منجي المؤمنين، وإليه ترد الأمور ، ولا يستطيع أحد أن يلومه في الايمان بالله، إن تعاضد الحجج المادية والمعنوية قد أعطى دافعا فيما بعد في إسلام كعب بن زهير. ولم يكتفِ الشاعر بذلك؛ بل أشار إلى الوعد الالهي بأن الجنة لا يدخلها إلا طاهر القلب مسلما.

ونرى صورة أخرى من صور الدافع الديني وهي صورة الشاعر خفاف بن ندبه في معركة حنين والطائف وقد اخلص للإسلام مخاطبا بعضا من قومه حين ارتدوا قائلا:(الشعراء السود، 1988م :1983)

"لا ديـــــنكم دينـــــي ولا أنـــــا كـــــافر حتـــــى يـــــزول الـــــى صـــــراة شـــــمام"

لقد تجلت الدوافع الدينية عند خفاف واتضحت في مظاهرها بالتمسك بالدين والاسلام والتبرئة من أهله وعشيرته وكأنما يقول لسان حاله: لا نميل ولا نصطف معكم حتى يزول شمام، وهو جبل لباهله في نجد أن ينتقل هذا الجبل من موضعه إلى موضع آخر، وهذه استحالة انتقال الجبل، وبالتالي نجد صورة واضحة على الثبات والعزيمة ، من خلال استعانة الشاعر بحجية اقتباس النص القرآني في تبرير موقفه واقصاء الآخر من قوله تعالى " قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ{1} لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ{2}".(الكافرون:1و2) ، إذ إن دافع الشاعر إلى التمسك بالنص القرآني هو الذي حمله على موقفه حتى يكون مطابقا لمضمون النص القرآني.

2-الاقصاء بسبب الدافع الاجتماعي:

تعد صورة تشويه الآخر والاستهزاء به أشبه ما تكون بنظام متعدد الأدوار تبدأ من الفرد متجهة صوب العائلة ثم القبيلة، وقد تطال الملوك والرؤساء فكان الشاعر آنذاك محور هذه العملية، وقد بلغ الشعراء في إذلال خصومهم وخصوم قبائلهم وخصوم دينهم إلى مستوى كبير، فنالوا منهم بطريقة فاضحة، فهذا الحطيئة يقصي أباه الذي يرى إنه سبب اقصاءه وإبعاده عن المجتمع ، الأمر الذي جعل من الحطيئة يتحامل على أبيه ، فنعته بأقذى الالفاظ ، إذ قال: (الحطيئة، 1993م: 334).

"لحـــــاك الله ثـــــم لحـــــاك حقّـــــا أبـــــا ولحـــــاك مـــــن عـــــمٍّوخـــــالِ

فـــــنعم الشـــــيخ أنـــــت لـــــدى المخـــــازي وبـــــئس الشـــــيخ انـــــت لـــــدى المعـــــالي

جمعـــــت اللـــــؤم لا حيـــــاك ربـــــيّ وأبـــــواب الســـــفاهةِ والضـــــلالِ"

وهنا رسم الحطيئة صورة مخزية لأبيه بأسلوب الإهانة والاستهزاء والتشويه، واقصاه من جميع المحاسن التي يتجلى بها إسم الأب من حنان وعطف وأبوة، وجعله في أدنى مستوى من مستويات السفاهة والضلالة، فالشاعر يعاني من أزمة نفسية ، إذ يرى إن السبب الرئيسيفي أزمته هو نسبه الضائع ، ومعاملة الناس والقبائل السيئة له ، مما حمل بالهجاء والاقصاء لأبيه.

وكذلك نجد الشاعر عباس بن مرداس ، حيث قال في سفيان بن عبد يغوث النضر:(بن مرداس ،1969م:82).

"وأوعـــد وقـــلْ مـــا شـــئتَ إنـــك جاهـــلٌ علـــيَّ إنمـــا أنـــت امـــرؤٌ مـــن بنـــي نَضـــرِ"

استعمل الشاعر أسلوب الاقصاء الجاهلي ، متخذا من حجة ضعف القبيلة والاستهزاء بها مدخلا من الحط من قيمة الآخر واقصاءه ، إذ رسم ابن مرداس صورة مشوهة لخصمه حيث يقصيه بنعته بالجاهل وهذا اسلوب الاستهزاء والاستخفاف بالخصم.

ونعود مرة أخرى للحطيئة في هجائه لبني بجاد من عبس قائلا:(الحطيئة، 1993: 312).

"إذا ظعنـــت عنـــا بجـــادٌ فـــلا دنـــت ولا رجعـــت حاشـــا مُعيَّـــه والجهـــدِ

أكُـــــلُ بجـــــادٍ فاقـــــد الله بيـــــنهم كحيـــــة يســـــتهدى الطعـــــام ولا يهـــــدي"

وهذه صورة اقصاء وتجريد من الطبقة الأدمية الى فئه الحيوانات.

المبحث الثاني

أساليب الاقصاء :

إن الشعر العربي في صدر الاسلام حافل بضروب وموضوعات متنوعة وكثيرة، فكلما حاولنا الإلمام بقضية من قضاياه، ظهرت لنا قضايا وموضوعات أُخر لم تكن بالحسبان، فقد درس الباحثون موضوعات في الشعر العربي في صدر الاسلام من الناحية الفنية ، ودرسوا أغراضه، ويمكن بيان دراسة أساليب الاقصاء في الاغراض الشعرية :

1- الإقصاء قتـــــــلا:

يعد الإقصاء قتلا في عصر صدر الاسلام من أهم الأساليب التي ركز عليها الشعراء، ولا سيما المسلمون؛ لأن هذا الاسلوب فيه اضعاف للآخر، ويكون أشد وطئة من السيف، وذلك لأن عدد المسلمين آنذاك قليل، وكذلك شجع على ذلك الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بالرد على المشركين لإعلاء كلمة الله، إذ كان هذا الاسلوب متبادلا بين الطرفين المشركين والمسلمين، إذ نجد لحسان بن ثابت اشعار كثيرة في الرد على المشركين في هذا الباب، ففي أبيات له رسم صورة واضحة للمشركين في معركه أُحد ،إذ يقول:(حسان بن ثابت، 1994: 17)

"اقمنـــــا لكـــــم طعنـــــا مبيـــــرا مـــــنكلا وجزنـــــاكم بالضـــــرب مـــــن كـــــل جانـــــب"

وقال حسان أيضا في معركة بدر:

"فغادرنـــــا ابـــــا جهـــــل صـــــريعا وعتبـــــه قـــــد تركنـــــا بـــــالجبوب

وشـــــيبه قـــــد تركنـــــا فـــــي رجـــــالٍ ذوي حســـــبٍ إذا نســـــبوا نســـــيب"

وقال أيضا: :(حسان بن ثابت، 1994: 9)

"قتلنـــــا ابـــــن ربيعـــــة يـــــوم ســـــاروا إلينـــــا فـــــي مضـــــاعفه الحديـــــدِ"

إن الرغبة واضحة في هذه الأبيات المتفرقة في استئصال الآخر واقتلاعه من الجذور حيث يريد الشاعر أن يصور مدى شجاعة المسلمين، لأنه يتحدث بلغة الجميع، فهذه الأبيات الشعرية حافلة ومليئة بسمات الفخر التي اعجب بها العرب، وفي الوقت نفسه فإن مضمون هذه الأبيات تبرز فيها ظاهرة الاقصاء بأسلوب القتل، إذ إن الشاعر حين عمد إلى ذكر أسماء من قتلوهم ، كان يقصد قصدا أخر وهو أنه أراد أن يرسم للمسلمين سورة بطولية من خلال أفعالهم ووقائعهم ويبين للمشركين المكانة والمنزلة التي يتمتع بها المسلمون، فهم اشداء قتلوا رؤوس الكفر ولا يأبهون بذلك موضحا أن هذه رساله فخر من جهة، ورساله تحذير إلى كل من يحاول التعرض للدين والمسلمين من جهة أخرى.

ونجد في الجانب الآخر التوجه نفسه ، إذ انطلقت ألسنة شعراء المشركين في التحريض على قتال المسلمين وإقصائهم بحجج شتى، فهذا أمية بن أبي الصلت في قصيدته المشهورة التي رثى قتلى بدر من قريش ، والتي مطلعها :(الصلت : 1988م: 34)

"ألا بكيـــــــت علـــــــى الكـــــــرا م بنـــــي الكـــــرام أولـــــى الممـــــادح"

وفيها يقول محرضا قاصيا المسلمين من خلال معاودة قتالهم : : (الصلت : 1988م: 36-37)

"لِلَهِ دُرُّ بَنـــــــــــــــي عَلِـــــــــــــيٍّ أَيّـــــــــــمٍ مِـــــــــــنهُم وَنـــــــــــاكِح

إِن لَـــــــــم يُغيـــــــــروا غـــــــــارَةً شَـــــــعواءَ تُجحِـــــــرُ كُـــــــلَّ نـــــــابِح

بِالمُقرِبـــــــــــــــاتِ المُبعِـــــــــــــدا تِ الطامِحـــــــــاتِ مَـــــــعَ الطَـــــــوامِح

مُـــــــــرداً عَلـــــــى جُـــــــردٍ إِلـــــــى أَســـــــــــدٍ مُكالِبَـــــــــــةٍ كَـــــــــوالِح

وَيُـــــــــــلاقِ قِـــــــــرنٌ قِرنَـــــــــهُ مَشـــــــــيَ المُصـــــــــــافِحِ لِلمُصـــــــــافِح

بِزُهـــــــــاءِ أَلـــــــــفٍ ثُـــــــمَّ أَلـــــــــــ ـــــــفٍ بَـــــــينَ ذي بَـــــــدَنٍ وَرامِـــــــح"

فهذه دعوة لاقتلاع الآخر وإقصاءه بحجة الانتقام لقتلى بدر من المشركين ، تلت رثاء مهيجا للمشاعر والأحقاد ، كان لها من الأثر في تحميس قريش ما جعل من النبي (ﷺ) يحرم إنشادها (بروكلمان : 1949: 113/1) .

وكذلك نجد ضرارا بن الخطاب الفهري يجيب كعب بن مالك الانصاري لقصيدته التي بكى فيها الحمزة (عليه السلام)عم الرسول صلى الله عليه واله وسلم وقتلى أُحد من المسلمين ومطلعها :

"نشـــــجت وهـــــل لـــــك مـــــن منشـــــج وكنـــــــت متـــــــى تـــــــذكر تلجـــــــج"

فأجابه ضرار قائلا:(ضرار بن الخطاب، 1996: 48-49)

"أيَجـــــــزَعُ كَعـــــــبٌ لِأَشـــــــياعِهِ وَيَبكـــــــي مِـــــنَ الـــــزَمَنِ الأَعـــــوَجِ

فَيـــــا لَيـــــتَ عَمـــــراً وَأَشـــــياعَه وَعُتبَـــــةَ فـــــي جَمعِنـــــا السَـــــورَجِ

فَيَشـــــــفوا النُفـــــــوسَ بِأَوتارِهـــــــا بِقَتلـــــى أُصـــــيبَت مِـــــنَ الخَـــــزرَجِ

وَقَتلـــــى مِـــــنَ الأَوسِ فـــــي مَعـــــرَكٍ أُصـــــيبوا جَميعـــــاً بِـــــذي الأَضـــــوَجِ

وَمَقتـــــلَ حَمـــــزَةَ تَحـــــتَ اللِـــــواء بِمُطّـــــــــرِدٍ مـــــــــارنٍ مُخلِـــــــــجِ

وَحَيـــــثُ اِنثَنـــــى مُصـــــعَبٌ ثاوِيـــــاً بِضَـــــــــربَةَ ذي هِبَـــــــــةٍ سَـــــــــلجَجِ

بِأَحـــــــــدٍ وَأَســـــــــيافُنا فـــــــــيهِمُ تَلَهَّـــــــــبُ كَاللَهَـــــــــبِ المـــــــــوهِجِ

فَدُســـــــناهُمُ ثَـــــمَّ حَتّـــــى اِنثَنـــــوا سِـــــوى زاهِـــــقِ الـــــنَفسِ أَو مُحـــــرِجِ"

نجد خطاب ضرار خطابا مباشرا لكعب وما حدث في معركة أحد، فقد قدم حجة استشهاد الحمزة (رض) وآخرين من المسلمين ثأرا لمعركة بدر، وهذا يعني إن الرغبة في الانتقام واقتلاع الطرف الآخر من جذوره وحب السيطرة، قد بلغ أشده في عصر صدر الإسلام؛ لذلك نجد القصيدة برمتها قائمة على محورين أساسيين: هما: الفخر الجماعي واجتثاث الآخر، ويبدو أن لغة القتل وإقصاء الآخر لم تتوقف عند شاعر واحد؛ بل نجد إن كثيرا من الشعراء قد صرح بذلك علانية، فهذا العباس بن مرداس قائلا في معركه حنين: (بن مرداس، 1969: 116)

"ببـــيض تطيـــر الهـــام عـــن مســـتقرها ونقطـــف اعنـــاق الكمـــاة بهـــا قطـــف

فكـــــائن تركنـــــا مـــــن قتيـــــل ملحـــــد وأمـــــه تـــــدعو علـــــى بعلهـــــا لهفـــــا

رضـــــا الله ننـــــوي لارضـــــا النـــــاس نبتغـــــي ولله مـــــا يبـــــدو جميعـــــا ومـــــا يخفـــــى"

قدم الشاعر حجة رضا الله سبحانه وتعالى ، كدافع إلى إقصاء الآخر وقتله، فقد برر الشاعر إلى قتل الآخر بوصفه الالحاد والكفر والعناد، فضلا عن أنه حاول أن يصور قوة المسلمين وعزيمتهم في المعركة ، وكذلك قدم صورة وصفية لقطع رؤوس المشركين وبكاء نسائهم على أبنائهن وأزواجهن وقد استمر الشاعر في إظهار حجة إقصاء الآخر في مواطن مختلفة في شعره، إذ قال لمعد بن يكرب: (بن مرداس، 1969: 64).

"ونحـــن ضـــربنا الكـــبش حتـــى تســـاقطت كواكبـــــه بكـــــل غضـــــب مهنـــــد"

وكذلك قوله يذكّر فرار بن الاسود في حنين : (بن مرداس، 1969: 69 - 70)

"قتلنـــا فـــي الغبـــار بنـــي حطـــيط علـــــى راياتهـــــا والخيـــــل زور

فأفلـــت مـــن نجـــا مـــنهم جريضـــا وقتـــــل مـــــنهم بشـــــر كثيـــــر"

وقال أيضا : (بن مرداس، 1969: 94)

"قتلنـــا بـــه فـــي ملتقـــى الخيـــل خمســـةً وقاتلـــــه زدنـــــا مـــــن الليـــــل سادســـــا

وكنـــا إذا مـــا الحـــرب شـــبت نُشُـــبها ونضـــــرب فيهـــــا الابلـــــخ المتقاعســـــا"

إن جميع هذه الابيات لا تحتاج الى تعليق حيث انها تعبر تعبيرا صريحا وصادقا وتدل دلالة واضحة إلى غرض الاقصاء، فهو يتكلم عن اباحة وقتل.

ونلاحظ الشاعر عمرو بن شأس يتغنى ببلائه في معركة القادسية قائلا: (عمر بن شأس ، 1983م: 15)

"جَلَبنـــا الخَيـــلَ مِـــن أكنـــافِ نيـــقٍ إلـــــى كِســـــرى فَوافَقَهـــــا رِعـــــالا

تَـــرَكنَ لَهُـــم عَلـــى الأَقســـامِ شَـــجواً وَبِـــــــالحَقوَينِ أَيّامـــــــاً طِـــــــوالا

وَداعِيَـــــةٍ بِفـــــارِسَ قَـــــد تَرَكنـــــا تُبَكّـــــــي كُلّمـــــــا رَأتِ الهِـــــــلالا

قَتَلنـــــا رُســـــتَماً وَبَنيـــــهِ قَســـــراً تُثيـــــرُ الخَيـــــلُ فَـــــوقَهُمُ الهِيـــــالا

تَرَكنـــــا مِـــــنهُمُ حَيـــــثُ اِلتَقَينـــــا فِئامـــــاً مـــــا يُريـــــدونَ اِرتِحـــــالا

وَفَـــــرَّ البيـــــرُزانُ وَلَـــــم يُحـــــامِ وَكـــــانَ عَلـــــى كَتيبَتِـــــهِ وَبـــــالا

وَنَجّـــــى الهُرمُـــــزانَ حِـــــذارُ نَفـــــسٍ وَرَكـــــضُ الخَيـــــلِ موصِـــــلَةً عِجـــــالا"

يصور الشاعر المعركة وما أبلى هو وقومه فيها ادق التصوير واوضح ما لقيه الفرس من شدة وعزم قومه وبطولة فرسانهم، إذ قتلوا قاد الفرس من رستم وهروب فريقه الآخر منهم، أمثال البيرزان والهرمزان، فهذه الصورة التي قدمها الشاعر تعبر عن قوة المسلمين وكيفية مقتل الفرس واقصاءهم.

2- الاقصاء باسلوب الطرد والنفي والتشريد

إن شيوع ظاهرة الاقصاء بأسلوب النفي والخلع والتشريد موجود في عصر صدر الاسلام، إلا إننا نلمس معاناة حقيقيه مؤلمة عاشها المخلوعون خارج أسوار قبائلهم حتى انعكست تلك الآلام على ابداعهم الأدبي، فجاءت اشعارهم متضمنه آلامهم وأحزانهم التي تكشف عن الشعور بالألم مصورة جراحاتهم التي لا تدمل، ونجد فئه المسلمين هم أكثر فئه تعرضت للتشريد والحرمان إبان بداية الدعوة الإسلامية، إذ نرى نوفل بن الحارث القرشي شخص دخل الاسلام ، فبادر إلى خلع نفسه من قبيلته وعبر عن ذلك بقوله: (ابن سعد، 1990: 34)

"إلـــيكم إلـــيكم إننـــي لســـت مـــنكمُ تبـــرأت مـــن ديـــن الشـــيوخ الأكـــابر

لعمـــرك مـــا دينـــي بشـــيءٍ ابيعـــهُ ومـــا أنـــا إذ أســـلمت يومـــا بكـــافرِ

شـــــــهدت علـــــــى أن النبـــــــي محمدا أتـــى بالهـــدى مـــن ربـــهِ والبصـــائرِ"

في هذا النص يشير الشاعر إلى الغربة الروحية والمكانية، وهو استبدال دين أباءه بالدين الجديد، واستبدال قبيلته بالمسلمين، وهذا الأمر يتضح من خلال مفارقة الشاعر قومه وديارِه، واتصاله بالدين الجديد، وهو إقصاء عن رغبة قام بها الشاعر تقربا إلى الله تعالى ورسوله (ص).

ونجد المسلمون حين احسوا بانهم مبعدون من ديارهم التجأوا الى التعويض عن ذلك من خلال البحث عن وطن، أو مجتمع جديد يلبي طموحاتهم ويكون ملاذا لهم، فقد عبر الشاعر عبد الله بن الحارث بقوله: (ابن هشام، 1987م: 331)

"يـــا راكبـــا بلغنـــا عنـــي مغلغلـــه مـــن كـــان يرجـــو بـــلاغ الله والـــدين

كـــل امـــرئ مـــن عبـــاد الله مضـــطهد بـــبطن مكـــه مشـــهور ومفتـــون

انـــا وجـــدنا بـــلاد الله واســـعه تنجـــي مـــن الـــذل والمخـــزاة والهـــون

فـــلا تقيمـــوا علـــى ذل الحيـــاه ولا خـــزى الممـــات وعيـــب غيـــر مـــأمون

إنـــا تبعنـــا رســـول الله فـــاطرحوا قـــول النبـــي وقـــالوا فـــي المـــوازين

فاجعـــل عـــذابك فـــي القـــوم الـــذي بغـــوا وعائـــذ بـــك ان يعلـــو فيصـــغوني"

لقد عانى المسلمون في بداية الدعوة الإسلامية من الاضطهاد والظلم ، ولم يكتف المشركون بهذا الأمر؛ بل سعوا إلى طرد المسلمون من ديارهم (مكة)، فضلا عن طرد القبائل لبعض أفرادها من الذين أمنوا بالدعوة الإسلامية، فلم يكن أمام المسلمين إلا الهجرة والابتعاد عن موطنهم وديارهم رغبة في طاعة الله تعالى ودينه، فكانت حجتهم هو التحرر من الظلم والعبودية وعبادة الاصنام التي أقصوا من أجلها.

3- أسلوب الاقصاء بالإهانة والاستهزاء:

تعد صورة تشويه الآخر والاستهزاء به أشبه ما تكون بنظام متعدد الادوات فهذا حسان بن ثابت يفتخر بالمسلمين وانتصاراتهم ويستهزئ بجبن المشركين وخذلانهم، إذ يقول:(حسان بن ثابت،1994م:17)

اقمنـــا لكـــم طعنـــا مبيـــرا مـــنكلا وجزنـــاكم بالضـــرب مـــن كـــل جانـــب

ولـــولا لـــواء الحارثيـــة اصـــبحوا يبـــاعون فـــي الاســـواق بيـــع الجلائـــب

فالشاعر يرسم صورة مخزية للمشركين حيث يستهزئ بهم لضعفهم ولخوفهم ولشده المعركة وقوة المسلمين، حتى لم يبق لهم من حملة راية في المعركة؛ لان جميعهم قتلوا فعيرهم واستهزأ بهم، وبأن امرأة اسمها الحارثية حملت رايتهم في المعركة، فاجتمعوا إليها، وهذه مسألة مشينة ومعيبة لدى العرب. ولعل وراء هذا الاستهزاء استعمال الشاعر حجة قتال المرأة الذي يعد عيبا عند العرب مدخلا للاستهزاء بالآخر وإقصاءه.

وكذلك نجد حسان بن ثابت أيضا يستهزئ بقبائل قريش التي كانت تناصب العداء للنبي محمد (ص) ، إذ تحدث في معرض هجاء هذه القبائل وبيان مثالبها ، إذ يذكرهم بأسمائهم ، وهو من باب التشهير وإقصاء تلك القبائل ، فيقول (حسان بن ثابت ،1994م: 266) .

"فَـــــلا وَاللهِ مـــــا تَـــــدري مَعـــــيصٌ أَسَـــــهلٌ بَطـــــنُ مَكَّـــــةَ أَم يَفـــــاعُ

وَكُـــــلُّ مُحـــــارِبٍ وَبَنـــــي نِـــــزارٍ تَبَـــــيَّنَ فـــــي مَشـــــافِرِهِ الرِضـــــاعُ

وَمـــــا جُمَـــــحٌ وَلَـــــو ذُكِـــــرَت بِشَـــــيءٍ وَلا تَـــــيمٌ فَـــــذَلِكُمُ الرِعـــــاعُ

لِأَنَّ اللُـــــؤمَ فـــــيهِم مُســـــتَبينٌ إِذا كـــــانَ الوَقـــــائِعُ وَالمِصـــــاعُ

وَمَخـــــزومٌ هُـــــمُ وَعَـــــدِيٌّ كَعـــــبٍ لِئـــــامُ النـــــاسِ لَـــــيسَ لَهُـــــم دِفـــــاعُ"

فهنا كان حسان يهجو ويستهزئ ويقصي القبائل بأنها لا شرف لها ولا خطر ، سفلة رعاع ، لايثبتون في القتال ؛ ومن ثم كان إعراضهم عن الدين الاسلامي ، ورأيهم في الرسول محمد (ص) ودعوته وأصحابه لا قيمة ولا وزن ، وهو هجاء بالمثالب . إن الدافع وراء استهزاء حسان لهذه القبائل متأت من عدم إيمانهم بالله ودعوة نبيه (ص) ، فحاول أن يعرض بهم بين القبائل ويفضحهم بأنهم لا وفاء لهم، ولا عهد، وشيمتهم الغدر واللئم، وهذه حجة إقصائية كافية لعزلهم عن العرب وعدم مساندتهم ضد المسلمين.

وكذلك نجد كعبا بن مالك يذكّر هند بنت عتبة بمقتل أبيها وعمها وأخيها وابنها في معركة بدر ، ويخاطبها مستهزئاً بقوله (كعب بن مالك، 1966 : 252)

"ألا يـــــا هنـــــدُ فـــــابكِي لاَ تَمَلِّـــــي فَأَنْـــــتِ الوَالِـــــهُ العَبْـــــرَى الهَبُـــــولُ

ألا يـــــا هِنْـــــدُ لا تُبـــــدِي شِـــــماتاً بحمـــــــزةَ إنَّ عِـــــــزَّكُمُ ذَليـــــــلُ"

تتضح في هذه الأبيات النفس الجاهلي وهو مقارعة الحجة بالحجة والشماتة بالآخر ، فقد قتل المسلمون زعامات قريش بالمقابل قتلت قريش الحمزة بن عبد المطلب (رض) ، وهذه المنافرات الشعرية توحي بأن كل طرف يحاول إقصاء الآخر مبتغيا الحجج التي يراها مناسبة.

وفي أبيات أُخر نمر بحسان بن ثابت حين هجا قائد المشركين أبا سفيان قائلا: (بن ثابت، 1994: 9)

"فـــــنحكم بـــــالقوافي مـــــن هجانـــــا ونضـــــرب حـــــين تخـــــتلط الـــــدماء

ألا أبلـــــغ ابـــــا ســـــفيان عنـــــي فأنـــــت مجـــــوّف نخـــــب هـــــواء

بـــــان ســـــيوفنا تركـــــت عبـــــدا وعبـــــد الـــــدار ســـــادتها الامـــــاء"

وهنا يصور الشاعر ابا سفيان وتهديده وتوعده للمسلمين، حيث يبلغه بأنه جبان وفارغ، لا يستطيع عمل أي شيء يخل من عقيدة المسلمين، وهذا اسلوب واضح في الاقصاء بالاستهانة والاستهزاء، فحجة الشاعر في هذا النص هو بسالة المسلمين والتضحية من أجل الدفاع عن عقيدتهم، فلا يستطيع أحد أن يهزمهم.

وكذلك نجد الشاعر قيس بن مالك النجاشي يرد على كتب معاوية التي أرسلها إلى الإمام علي(عليه السلام)، وكانت تحمل أبيات كعب بن جعيل التي أولها:

أرى الشـــام تكـــره أهـــل العـــراق وأهـــل العـــراق لهـــم كارهونـــا

وفي هذا البيت نجد اقصاء متبادل فيرد النجاشي قائلا: (الشعراء السود، 1988: 7)

"دعـــن معـــاوي مـــالن يكونـــا فقـــد حقـــق الله مـــا تحـــذرونا

اتـــاكم علـــي باهـــل العـــراق واهـــل الحجـــاز فمـــا تصـــنعونا

يـــرون الطعـــان خـــلال العجـــاج وضـــرب القـــوانس فـــي النقـــع دينـــا

هـــم هزمـــوا الجمـــع جمـــع الزبيـــر وطلحـــــه والمعشـــــر الناكثينـــــا"

في هذا النص يشير الشاعر إلى المنافرات التي وقعت بين أهل العراق وأهل الشام الذي يريد كل طرف منهما إقصاء الآخر وإثبات أحقيته في الحكم، فقد قدم الشاعر على ضعف الرأي والمشورة، فضلا عن ضعف جيش الشام ، بالمقابل حسّن صورة أهل العراق من حيث القوة والإقدام، فقدم الشاعر حجة انتصار أهل العراق على الزبير وطلحة في معركة الجمل ، وهي حجة لإضعاف الخصم وتوهينه وإقصاءه.

ونجد صورة أخرى في الاقصاء وهي صورة تشويه الآخر والسخرية منه، عبر تشبيهه بالحيوانات، إذ لم يكن يريد الشاعر في قصيدته أن يقرن من يريد الإطاحة به، بالحيوان الشجاع؛ وإنما يُقرنه بصورة الحيوان الجبان، إذ نجد حسان بن ثابت هاجيا بن الحارث بن كعب رهط الشاعر النجاشي في قوله: (حسان بن ثابت ، 1994م: 122)

حـــارِ بـــن كعـــبٍ ألا الاحـــلامُ نزجـــركم عنـــا وأنـــتم مـــن الجـــوفِ الجمـــاخيرِ

لا بـــأس بـــالقوم مـــن طـــولِ ومـــن عظـــمِ جســـمُ البغـــالِ واحـــلام العصـــافيرِ

حاول الشاعر في هذين البيتين أن يثبت لنفسه ولقومه الحلم والعقل والقوة، ثم سلب من خصمه هذه الصفات، ونعته بالبغال وضعف الحلم والعقل، بمعنى أن حسان زحزح خصمه من أدميته إلى فئة أخرى من المخلوقات التي لا تملك عقلا، وهذا الهجاء صادر من روح تحاول إقصاء الآخر من مختلف الطرق.

ويقول حسان أيضا في هجاء بني الحماس : (حسان بن ثابت ، 1994م: 131)

أمـــا الحمـــاس فـــإني غيـــر شـــاتمهم لاهـــمُ كـــرامٌ ولا عرضـــي لهـــم خطـــرُ

أولادُ حـــام فلـــن تلقـــى لهـــمُ شـــبها إلا التيـــوس علـــى أكتافهـــا الشـــعَّرُ

فقد تجلى الاقصاء بصورة واضحة في هذه الأبيات الشعرية حتى إنه أقصاهم من جنس البشر إلى جنس البهائم.

وكذلك نرى الشاعر العباس بن مرداس يقصي بني معاوية قائلا: (بن مرداس ، 1969: 71)

كـــأن بنـــي معاويـــة بـــن بكـــر إلـــى الاســـلام ضـــائتةٌ تخـــورُ

فقلنـــا أســـلموا إنـــا أخـــوكُمْ وقـــد بـــرأتْ مـــن الاحـــن الصـــدُورُ

كـــأن القـــوم إذ جـــاءوا إلينـــا مـــن البغضـــاء بعـــد السِّـــلمِ عـــوُرُ

نجد إن الشاعر قد جرد بني معاوية من جميع محاسنهم حتى سلبهم آدميتهم، وقرنهم بمعزة تصوت وتصيح ولا تستطيع فعل شيء، ثم يستمر الشاعر بهذا الأسلوب كحجة اقصاء طبيعتها السخرية، فيرسم صورة مضحكة عند مجيئهم إلى قوم الشاعر طالبين السلم فبدت ملامح هؤلاء القوم من شدة كرههم وبغضهم لقوم الشاعر عور العين.

الخاتمة

في ختام بحثنا هذا نحاول أن نقف على أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

- يمثل الحجاج عنصرا مهما في بناء الشعر ، إذ زخر شعر صدر الاسلام بحجج قدمها الشعراء للدفاع عن عقيدتهم ، ولاسيما الشعراء المسلمون الذين شكلت لهم الدعوة الإسلامية جانبا مهما في شعرهم ، فكانت صفة الالتزام ملازمة لهم للدفاع عن قضيتهم التي أدركوا أبعاد حجمها في الحياة من أجل تحقيق الوصول إلى مبتغاهم في طاعة الله تعالى، وإقصاء الآخر المعاند ، لذا كانوا جريئين في إظهار عقائدهم.
- تمثل سمة إقصاء الآخر سمة بارزة في شعر صدر الاسلام ، انطلاقا من مقولة" أكون أو لا أكون"، لدى الشعراء، وهذه المقولة تركت أبعادا إيجابية وأخرى سلبية على الحياة الاجتماعية في تلك المرحلة.
- اتخذ البحث المنهج الحجاجي ، ولاسيما الحجج والاستدلال طريقا في الكشف عن ثيمة الإقصاء ودوافعها في شعر صدر الاسلام ، إذ كان الدافع الديني يمثل حجة مهمة في إقصاء الآخر وإبعاده.
- مثّلَ الدافع الاجتماعي كحجة تبريرية لإقصاء الآخر اجتماعيا ، سواء من المجتمع ، أو القبيلة ، أو الأسرة.
- وقف البحث على أهم أساليب الإقصاء ، فكان الإقصاء قتلا حاضرا في مدونة شعر صدر الإسلام، ولا يمكن التغافل عنه على الرغم من سماحة الدين ومرونته.
- كان أسلوب الإقصاء بالإهانة والاستهزاء حجة اجتماعية استعملها الشعراء في الدفاع عن عقيدتهم، على الرغم من كونها حجة قريبة للمجتمع أكثر من قربها إلى الدين؛ إلا إن الشعراء أصروا على استعمالها لغرض الهجاء الذي يحمل أسلوب الإقصاء.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، ط1، إربد-الأردن، 2011م.
- الصِّحاح (تاج اللغة، وصحاح العربية)، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، 1407هـ - 1987م.
- لسان العرب، جمال الدين ابن منظور(ت: 820هـ)، تحقيق: عبد الستار فراج، د. ط، دار صادر بيروت، 1388هـ.

- المعجم الوجيز- مجمع اللغة العربية، وزارة التربية والتعليم، مصر، 1994.
- جذور إقصاء الآخر في العقل العربي في ضوء الشعر الجاهلي والمرويات التاريخية، أ.د. كاظم حمد محراث ، جامعة واسط ، بحث في مجلة كلية التربية، العدد العاشر، 2009م.
- الاقصاء في الشعر الجاهلي، مشتاق طالب منعم ، رسالة ماجستير ،جامعة واسط / كلية التربية / قسم اللغة العربية، 2011م.
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي, طه عبد الرحمن, ط1،المركز الثقافي العربي، بيروت _ لبنان, 1998م.
- المعجم العربي الأساسي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، توزيع لاروس، 1989م .
- الاستقراء والمنهج العلمي ، محمد زيدان ، د. ط، دار النهضة، بيروت – لبنان ، د.ت.
- المنطق ومناهج البحث ، ماهر عبد القادر محمد علي ، د.ط، دار النهضة ، بيروت – لبنان ، 1985م.
- استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية، عبد الهادي الشهري، ط1 ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، 2004 م.
- التداولية والحجاج مداخل إقناعية استدلالية لإنجاز مقاصد حجاجية، صابر الحباشة، ط1، دار صفحات، دمشق، 2008م.
- البلاغة والاتصال: جميل عبد المجيد, ط1, دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع مصر, 2000م.
- كتاب التعريفات, للشريف الجرجاني, دار الفكر, ط1, بيروت 2005.
- بلاغة الحجة في خطاب الخلفاء الراشدين ، دراسة وصفية لنماذج خطابية، أ. هناء حلاسة، ط 1، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الاردن، 2016م.
- الأغاني، لأبي فرج الأصفهاني(ت356هـ)، تحقيق: إبراهيم الإبياري، طبعة دار الكتب، مصر، 1969م.
- الاسلام والشعر ، د.سامي مكي العاني ، عالم المعرفة – سلسلة كتب ثقافية شهرية تصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب – الكويت ، العدد 66، الكويت، 1996م.
- الأمالي في الأدب الإسلامي، د. ابتسام مرهون الصفار، ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع ، عمان- الاردن ، 2005م.
- الاديب والالتزام : د. نوري حمودي القيسي ، ط1، دار الحرية للطباعة، بغداد ، 1979م.
- ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق: عبد أمهنا، ط2، دار الكتب العلمية ، 1994م.
- ديوان كعب بن زهير، تحقيق : علي فاعور، د. ط، دار الكتب العلمية ، 1996م.

- الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي ، تحقيق : د. عبد بدوي، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1988م.
- ديوان الحطيئة, براوية وشرح ابن السكيت, دراسة وتبويب: د. مفيد محمد قميحة, ط1، دار الكتب العلمية, بيروت ،1993.
- ديوان العباس بن مرداس السلمي ، تحقيق: يحيى الجبوري، ط1، دار الجمهورية، بغداد، 1969م.
- ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع وتحقيق وشرح: د. سجيع جميل الجبيلي، ط1، دار صادر، بيروت ، 1988م.
- تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، ترجمة: عبد الحليم النجار، ط1، دار المعارف ، مصر ، 1949م.
- ديوان ضرار بن الخطاب الفهري، جمع وتحقيق: د. فاروق أسليم بن حمد، ط1، دار صادر، بيروت، 1996م.
- شعر عمر بن شأس الأسدي ، تحقيق: د. يحيى الجبوري ، ط2، دار القلم ، الكويت ، 1983م.
- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري ، تح: زياد محمد منصور ، ط1 ، مكتبة العلوم والحكم، 1990م.
- السيرة النبوية، ابن هشام ، نشر : عمر عبد السلام التدمري ، ط1، بيروت – لبنان ، 1408هـ- 1987م.
- ديوان كعب بن مالك الأنصاري، تحقيق: مكي العاني ، ط1، دار المعارف، بغداد ، 1966م.

:References

.Holly Quran .1

Al-Hajjaj in Arabic Poetry, Its Structure and Methods, Samia Al-Duraidi, The World of .2
.AD 2011st edition, Irbid - Jordan, 1Modern Books,

Al-Sihah (The Crown of Language, and the Sahihah of Arabic), Ismail bin Hammad al- .3
th edition, Dar al-Ilm Li'l-4AH), investigation by Ahmed Abd al-Ghafour Attar, 393Jawhari (d.
.AD 1987AH - 1407Malayyin, Beirut - Lebanon,

AH), investigation: Abd al-Sattar Farraj, d. 820Lisan al-Arab, Jamal al-Din Ibn Manzoor (d.: .4
.AH 1388I, Dar Sader Beirut,

.1994Al-Wajeez Lexicon - Arabic Language Academy, Ministry of Education, Egypt, .5

The roots of the exclusion of the other in the Arab mind in the light of pre-Islamic poetry and .6
historical narratives, Prof. Dr. Kazem Hamad Mahrath, University of Wasit, research in the
.2009Journal of the College of Education, the tenth issue,
To Exclusion in Pre-Islamic Poetry, Mushtaq Talib Munim, Master Thesis, Wasit University / .7
.AD 2011College of Education / Department of Arabic Language,
st Edition, Arab Cultural 1Tongue and Balance or Mental Propagation, Taha Abdel Rahman, .8
.AD 1998Center, Beirut _ Lebanon,
The Basic Arabic Dictionary, the Arab Organization for Education, Culture and Science, .9
.1989distributed by Larousse,
Induction and the scientific method, Mohamed Zaidan, d. I, Dar Al-Nahda, Beirut - Lebanon, .10
.Dr. T
Logic and Research Methods, Maher Abdel-Qader Muhammad Ali, Dr. I, Dar Al-Nahda, .11
.AD 1985Beirut - Lebanon,
st edition, Dar Al-1Discourse Strategies: A Pragmatic Approach, Abdul-Hadi Al-Shehri, .12
.2004Jadid Al-Muttahidah, Beirut,
Deliberative and pilgrimages persuasive inferential approaches to accomplish the purposes of .13
.2008st Edition, Dar Safahat, Damascus, 1pilgrimages, Saber Al-Habasha,
st Edition, Dar Al-Gharib for Printing, 1Rhetoric and Communication: Jamil Abdel-Mageed, .14
.AD 2000Publishing and Distribution, Egypt,
.2005st edition, Beirut 1Definitions book, by Sherif Al-Jurjani, Dar Al-Fikr, .15
The language of argument in the speech of the Rightly Guided Caliphs, a descriptive study of .16
.2016st edition, Academic Book Center, Amman, Jordan, 1rhetorical models, a. Hanaa Halasah,
AH), investigation: Ibrahim Al-Ibiari, published 356Al-Aghani, by Abu Faraj Al-Isfahani (d. .17
.AD 1969by Dar Al-Kutub, Egypt,
Islam and Poetry, Dr. Sami Makki Al-Ani, The World of Knowledge - a monthly cultural .18
, 66book series issued by the National Council for Culture, Arts and Literature - Kuwait, Issue
.AD 1996Kuwait,
st Edition, Dar Al-Manhaj for 1Amali in Islamic literature, d. Ibtisam Marhoon Al-Saffar, .19
.2005Publishing and Distribution, Amman- Jordan,
st Edition, Dar Al-Hurriya for 1Writer and commitment: d. Nouri Hamoudi Al-Qaisi, .20
.1979Printing, Baghdad,

nd edition, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, 2Diwan Hassan bin Thabet, investigation: Abd Umhana, .21
.AD 1994
.AD 1996Diwan Kaab bin Zuhair, investigation: Ali Faour, d. I, Scientific Books House, .22
st 1Black poets and their characteristics in Arabic poetry, investigation: d. Abd Badawi, .23
.AD 1988Edition, The Egyptian General Book Organization, Egypt,
Diwan Al-Hutayah, Barawiyyah and Explanation of Ibn Al-Sakit, study and tabulation: Dr. .24
.1993st edition, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, 1Mofeed Muhammad Qamiha,
st edition, Dar Al-1Diwan Al-Abbas bin Mirdas Al-Salami, investigation: Yahya Al-Jubouri, .25
.AD 1969Jumhuriya, Baghdad,
Diwan Umayya bin Abi Al-Salt, collection, investigation and explanation: d. Saji' Jamil Al- .26
.1988st Edition, Dar Sader, Beirut, 1Jubaili,
st 1History of Arabic Literature, Carl Brockelmann, translated by: Abdel Halim Al-Najjar, .27
.AD 1949Edition, Dar Al-Maarif, Egypt,
Diwan Dirar bin Al-Khattab Al-Fihri, collection and investigation: d. Farouk Aslim bin .28
.AD 1996st Edition, Dar Sader, Beirut, 1Hamad,
nd Edition, 2The poetry of Omar Ibn Shaas Al-Asadi, investigation: d. Yahya Al-Jubouri, .29
.AD 1983Dar Al-Qalam, Kuwait,
Al-Tabaqat Al-Kubra, Muhammad bin Saad bin Munei Al-Hashemi Al-Basri, edited by: .30
.AD 1990st Edition, Library of Science and Governance, 1Ziyad Muhammad Mansour,

st 1Biography of the Prophet, Ibn Hisham, published by: Omar Abdul Salam Al-Tadmuri, .31
.AD 1987AH - 1408Edition, Beirut - Lebanon,
st edition, Dar Al-Maarif, 1Diwan Kaab bin Malik Al-Ansari, investigation: Makki Al-Ani, .32
.AD 1966Baghdad,
Al-Tabaqat Al-Kubra, Muhammad bin Saad bin Munei Al-Hashemi Al-Basri, edited by: .30
.AD 1990st Edition, Library of Science and Governance, 1Ziyad Muhammad Mansour,
st 1Biography of the Prophet, Ibn Hisham, published by: Omar Abdul Salam Al-Tadmuri, .31
.AD 1987AH - 1408Edition, Beirut - Lebanon,
st edition, Dar Al-Maarif, 1Diwan Kaab bin Malik Al-Ansari, investigation: Makki Al-Ani, .32
.AD 1966Baghdad,